الباحث إسماعيل قحطان

أبرز أوجه تطور الفكر السياسي في اليمن تغير النظام السياسي في الشمال وطرد الاحتلال البريطاني من الجنوب

التفويض الإلهي الذي ادَّعاه الإمام وقف حاجزاً أمام تحقيق طموح اليمنيين فى التقدم ما أدى إلى رفض الإمامة المطلقة

«تطـور الفكر السياسـى فى اليمن» أحدث كتاب سياسـى ينضم إلى رفوف المكتبة اليمنيـة .. يبحث هذا الكتاب في العديد من الجوانب البارزة في الفكر السياسي اليمني خلال الفترة من 1930 وحتى العام 1962. وهو حصيلة بحث مضن بين وثائق التاريخ اليمني المعاصر قام به الباحث إسماعيل قحطان في إطار اهتمامه بالكشف عن أبرز ملامح تطور الفكر السياسـي والتفاعلات السياسـية التي أدت إلى العديد من التحولات السياسـية الكبرى في اليمن والمنطقة العربية ككل..

الباحـث إسـماعيل قحطان الـذي يحتفي هذه الأيام بصدور كتابه الجديد كشـف عن نيته نشـر مجموعة كبيرة من الوثائق السياسـية اليمنية التي حصل عليها طوال مرحلة البحث والدراسـة في العشـر سنوات السـابقة، ويقول إن هذه الوثائق على درجة كبيرة من الأهمية حيث تكشف جوانب خفية من التاريخ السياسـي لليمن، وسـوف تعطي الباحثين في التاريخ اليمني مادة خصبة لإعادة كتابة وتقييم التاريخ اليمني في القرن العشرين..

وفي هذا الحوار القصير يتحدث قحطان عن كتابه الجديد.. وأبرز ماتضمنه من أطروحات وأفكار.

لقاء/ صالح البيضاني

جانب مادي

▫ ماهى الإضافة التى مثلها كتابك للمكتبة السياسية والتاريخية اليمنية؟

- فى اعتقادى أن هذا الكتاب يحمل فى طيّاته عنصرين هامين، الأول: أنه أول كتاب يقوم على دراسة اليمن بأكمله حيث لم يسبقنى إلى ذلك أحد، أى أن هذا الكتاب تفرّد بهذه المسألة وهى الوحدة اليمنية، حيث أن كل من بحث فى تاريخ اليمن ومن يبحث لا يزال يعيش فكر التشطير والتقسيم والانفصال ولم يتطوّر أو يصل إلى فكر الوحدة، وهذه مصيبة عظمى عندما يعيش الباحث فى إطار أفكار انفصالية أو فى إطار أفكار قاصرة وهامشية.

وللأسف فإن مراكز البحث العلمى فى اليمن مازالت تفتقر إلى آلية تطوير ذاتها، والأخذ بالأفكار الوحدوية وما زالت تعيش مرحلة تشطير وانفصال إن لم يكن بارزاً إلى الوجود فهو داخلى لا يزال يقودنا نحو التراجع.

العنصر الثانى المهم فى هذه الدراسة أنها أول دراسة للفكر السياسى فى اليمن دراسة مستقلة، فكثير من الدراسات اليمنية السابقة خلطت بين الجانب الفكرى والجانب المادى وغلبت الجانب المادى على الجانب الفكري، بل أن الجانب الفكرى لم يكن سوى أسطر قليلة بين مئات الصفحات التاريخية المادية.

أوجه التطوّر

▫ أتى كتابك تحت عنوان «تطور الفكر السياسي فى اليمن» ماهي مظاهر التطوّر التى تحدثت عنها؟

- التطوّر الذى حدث فى الفكر السياسي فى اليمن تمثّل فى عدة جوانب مختلفة جانب منها كان يتعلق بالوضع السياسي فى شمال اليمن المستقل وجزء منها كان متعلقاً بالوضع السياسي فى الجنوب المحتل وجزء ثالث كان عبارة عن قضايا مشتركة كانت تهمّ الجزئين الشمالى والجنوبي.

المثقفون اليمنيون وجدوا أن فكرة الجنوب العربي وإن كانت أكثر تقدّماً من الحكم الذاتى لعدن إلا أنها فكرة قاصرة حيث أنها تعمل على سلخ المناطق الجنوبية اليمنية

ففى الشمال كانت الطبقة المثقفة لا ترى حرجاً فى القبول بنظام حكم يعتمد على إقامة حاكم يعلن نفسه أنه مفوّض من الله لحكم الناس، وكانت ترى فى هذا النظام المعتمد على الذات الإلهية، نظاماً يمكن القبول به إذا حقق التقدّم المطلوب وعمل على ازدهار اليمن، لكن التفويض الإلهي الـذى ادعـاه الإمـام وقف حاجزاً أمام تحقيق طموح اليمنيين فى التقدّم، ما أدى إلى رفض الإمامة المطلقة، وبدأ المثقفون اليمنيون يـرون ضـرورة رفض فكرة التفويض الإلهى المطلق، وبدأت أفكار الإمامة الدستورية تنتشر، وخلاصة هذه الأفكار أن لا يكون للإمام الحاكم مطلق الحرية فى الحكم، إنما يجب عليه أن يكون مقيداً بدستور ومجلس شعبى مكوّن من أهل الحل والعقد فى اليمن..

حركة القوميين العرب دعت إلى التخلص من الاستعمار وتحرير فلسطين واعتبرت ذلك من أولوياتها، فقد كان فرع اليمن هو أول فرع يدعو إلى اتخاذ مبدأ الكفاح المسلّح

وبدأ المثقفون يسعون لإقناع الإمام بالقبول بذلك دون أن يكون لديهم أدنى فكرة للقيام بثورة أو انقلاب ضد الإمام، وبسبب حدوث انقلابين فى عامى 1948 و1955 من داخل المنظومة الحاكمة نفسها، حيث انقلبت على نفسها للاستيلاء على الحكم فى المرة الأولى على يد الوزير، وفى المرة الثانية على يد سيف الإسلام عبدالله أخي الإمام أحمد، فقد وجد المثقفون اليمنيون أن الانقلابين ومن يقف وراءهما لا يسعيان أبداً لإقامة حكم دستوري حتى وإن ادعى قادة الانقلاب أنهم سيصبحون دستوريين، لذلك بدأ المثقفون يرفضون الإمامة المطلقة بشكل مطلق سواءً الإمامة أم الإمامة الدستورية واستبدلوها بالمطالبة بإقامة حكم جمهوري.

فى الجنوب وجد المثقفون اليمنيون أن الاحتلال البريطانى لعدن يسعى لفصل عدن عن بقية مناطق الجنوب تحت مسمّى الحكم الذاتى لعدن، وقد وجدت فكرة الحكم الذاتى مؤيدين لها من أبناء عدن، لكنها وجدت أيضاً معارضين.

نادى معارضو فكرة الحكم الذاتي بإقامة دولة الجنوب العربي التى تضم عدن والمحميّات، وقد وجد المثقفون اليمنيون أن فكرة الجنوب العربي وإن كانت فكرة أكثر تقدّماً من الحكم الذاتي لعدن، إلا أنها فكرة قاصرة حيث أنها تعمل على سلخ المناطق الجنوبية اليمنية من اليمن الأم، فاستبدلوها بفكرة أكثر تقدّماً تنادي بإقامة دولة الجنوب اليمني على اعتبار أن الجنوب ما هو إلا جزء من اليمن الأم.

فى الوقت ذاته أجمع مثقفو الشمال والجنوب على قضايا فكرية وسياسية مثل فكرة الوحدة الإسلامية كونها فكرة تؤدي إلى تطوّر الأمة والأمم والشعوب المنضوية تحت لواء الإسلام ومنها اليمن.

كما نادوا بضرورة الوحدة العربية كون العرب هم أهل الإسلام، وإذا توحّدوا فإن ذلك يعني قوة الأمة العربية والإسلامية، ولكن نواة الوحدتين العربية والإسلامية لا تكمن إلا من الوحدة اليمنية التى هى لبنة أساسية لأي توحّد، وقد وجد المفكرون اليمنيون أن الاستعمار قضية رئيسية فى تخلّف الأمتين العربية والإسلامية وعليه يجب محاربة الاستعمار من أجل التطوّر، بل أن محاربة الاستعمار طريق نحو حل القضية الفلسطينية التي هى قضية العرب الكبرى، وقد وجدنا أن القضية الفلسطينية كانت تأخذ حيّزاً كبيراً فى فكر المثقفين اليمنيين، وكانت واحدة من أهم القضايا الفكرية لديهم.

إن أبرز أوجه تطوّر الفكر السياسي فى اليمن تغيّر النظام السياسى فى الشمال، وطرد الاحتلال البريطانى من الجنوب.

أمل كبير

▫ التطور فى الفكر السياسى فى اليمن بدءا من العام 1930 هل كانت له انعكاساته وتأثيراته على الساحة العربية؟

- يمكن القول أن اليمن فى بعض مراحلها التاريخية تأخذ دوراً واضحاً فى التاريخ العربي، وخلال مرحلة الدراسة التى قمت بها أى الفترة 1926 - 1930 كانت اليمن فى فترة من الفترات، وخاصة بعد سقوط الخلافة العثمانية فى تركيا 1923 تشكّل الأمـل الكبير لمفكريّ العالم الإسلامى لإقامة وحدة إسلامية وإعـادة دولة الخلافة، لكن النظام السياسي الحاكم فى تلك الفترة لم يكن يستطيع أبداً مسايرة التطور أو مسايرة الأحداث، وكان نظاماً انطوائياً متقوقعاً، أفقد اليمن مكانتها بين الشعوب، لكن الأفكار السياسية التى ظهرت فى اليمن أثرت على بعض البلدان العربية.. ففكرة إقامة حكومة دينية دستورية فى اليمن استهوت حكومة الأخوان المسلمين فى مصر وجعلتهم يغامرون بالخوض فى سياسة اليمن ودعم هذه الفكرة لأنها تتقارب مع توجهاتهم السياسية، وبالفعل فقد تبنّت الحركة هذه الفكرة وألقت بكل ثقلها فى اليمن لإنجاحها، إلا أنها فشلت وأسباب الفشل ليس هنا مجال ذكرها، الأمر الآخر الذى كان تأثير تطوّر الفكر السياسى اليمنى فيه واضحاً كان على مستوى حركة القوميين العرب التى كانت تدعو إلى التخلص من الاستعمار وتحرير فلسطين وتعتبر ذلك من أولوياتها، فقد كان فرع اليمن هو أول فرع يدعو إلى اتخاذ مبدأ الكفاح المسلّح.

وهذا الأمر كان خطوة كبيرة فى تقدّم حركة القوميين العرب على غيرها من الحركات والتنظيمات السياسية الأخرى فى الوطن العربي، وقد كان من نتيجة هذه الفكرة تحرّر جنوب اليمن، وعُمان، والخليج العربى من الاستعمار البريطاني، كما كانت سبباً فى قيام منظمة التحرير الفلسطينية واتخاذها مبدأ الكفاح المسلّح حيث كانت حركة القوميين العرب بشقيّها الجبهة الديمقراطية، والجبهة الشعبية جزءاً من هذه المنظمة..كما أن فكرة تحرير عدن، والمحميّات اليمنية الأخرى من الاحتلال البريطاني والدعوة إلى انضمامها جميعاً في دولة واحدة أدت إلى ظهور فكرة التوحد بين إمارات الخليج العربى التسع التى كان من أهم ثمارها قيام دولة الإمارات العربية المتحدة عام 1971.

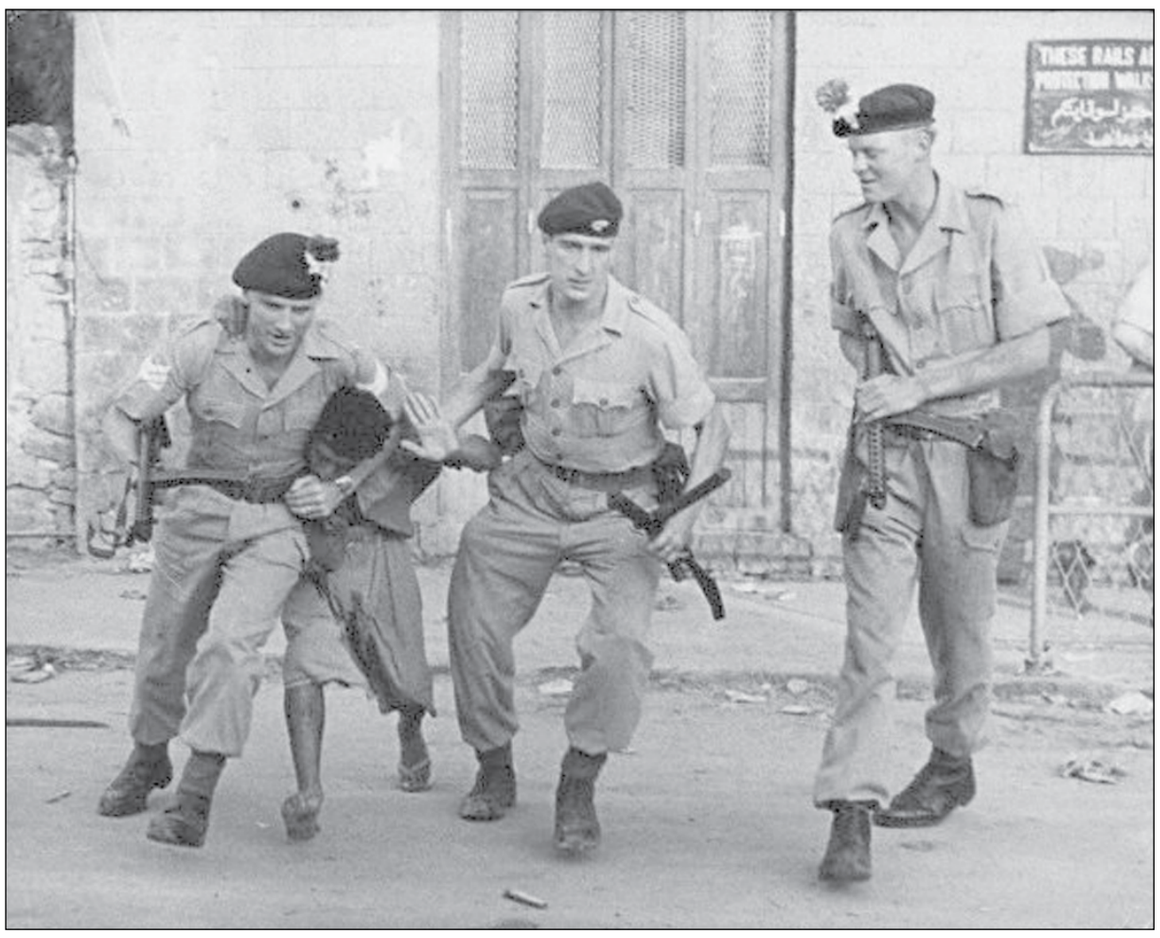

المصدر: العرب اونلاين